ام الـــــــــــروايـــــــــــات

محمد سعيد الصكار

تعبني الوقوف وراء حشد طويل من الناس بانتظار دوري في تسلم راتبي التقاعدي، وانا في خلال ذلك استعرض التزاماتي المالية وانسق وجوه صرف هذا الراتب الهزيل الذي لا يكاد يفي بحق الايجار ونفقات المعيشة البسيطة وقسط البدلة التي ورطت نفسي بخياطتها: فلعنت نفسي وشهواتي التي حملتني على اجتراح هذه الحماقة التي لا مبرر لها.

ما انا والبدلات الجديدة وفي سوق الملابس المستعملة ما يغني عن ارتكاب هذه المغامرات. وما هذه البدلة اللعينة، ولأية مناسبة اريدها وانا لا ابرح البيت إلا إلى المقهى او اتحاد الادباء، حيث أبقى لساعة او لساعتين، واعود منكسراً تحصدني الهواجس بشأن روايتي الجديدة التي قدمت مخطوطتها منذ اشهر إلى اتحاد الادباء ولم أحظ بجواب عما آلت اليه.

في المساء حملت نفسي إلى اتحاد الادباء فرأيت الشباب منخرطين في مناقشات حارة وحوار يتقاطع بمداخلات وافتراضات لم اعرف منها ما يحملني على المشاركة. فبقيت انصت وأتعجب:

ثلاثة ملايين دولار!

أهي حقاً دولارات امريكية؟ وثلاثة ملايين؟!

وبطبيعة الحال لم اصدق ذلك: فاية رواية هذه، واي روائي هذا الذي سيحظى بها؛ وكيف سيتصرف بهذا المبلغ الخرافي وهذه الثروة المفاجئة؟!

والمسألة، باختصار، ان دولة قطر وفقها الله، أنشأت جائزة أدبية قدرها ثلاثة ملايين دولار امريكي لأحسن رواية عالمية، وهي اكبر من جائزة نوبل بثلاث مرات.

في الطريق إلى البيت، قلت في نفسي: "مرحى، ها هم العرب يوجهون ثروة النفط السلمية إلى ميدان العقل والمعرفة، في حين وجه نوبل ثروة البارود تكفيراً عن اختراعه القاتل".

كنت اسير ورأسي مزدحم بالافكار عن هذه الجائزة المدهشة التي لم تعرف بعد ابعادها وشروطها ودلالاتها، ولكنها جعلت عيني تغيم وتختلط امامها المرئيات، فعثرت، وطريق بيتي يحفل باصناف من الحفر والمطبات التي تلزم العيون بالانتباه تجنباً لمشاكل السير؛ فلعنت الاتحاد الذي لم ينشر روايتي فحرمني من امكانية الحضور في عالم الادب، والرواية خصوصاً.

ولكن ما هم: لقد حظيت روايتي الاولى بثناء النقاد وتأويلاتهم التي لم تكن تخطر في بالي، فالمسألة اساساً مسألة حظ وصدفة، هذا اذا صفينا النية وقلنا انها مسألة ابداع. اما ما خلف ذلك فلا طاقة لي عليه.

❖❖❖

دارت الدنيا في رأسي فلم أنم: وفكرت بسحب روايتي من الاتحاد واعادة النظر فيها لتلائم شروط الرواية المرشحة لهذه الجائزة العجيبة، ولكنني كشخص عقلاني، رأيت ان من المستحيل ان انفرد بهذه الجائزة من بين الآلاف الذين سيرشحون لها، فما الحل؟

مع ساعات الليل الاخيرة قدح في رأسي سيناريو لا اقل خرافةً من مبلغ الجائزة، فنمت قرير العين بانتظار الصباح.

❖❖❖

في المقهى حيث انطلقت مبكراً، وجدت، كما توقعت سيد الرواية في بلادنا، ذا الروايات التسع التي شغلت نقادنا المعاصرين، ولم يأبه بها احد خارج البلد؛ ولكنه، ولا مناص من الحق. سيد الرواية فعلاً؛ واذ كان من المعجبين برواياتي، أدخلته في السيناريو الذي قدح في رأسي.

وكان من المنطقي ان يستأثر موضوع الجائزة بحديثنا في المقهى؛ فرحنا نستعرض الشروط واسماء الروائيين، والمنهج الذي سيقوم عليه التحكيم، واغرقنا في الضحك عندما افترضنا ان الدكتور (ج)، ديناصور الجوائز الادبية ومهرجاناتها في كل مكان، سيكون، حتماً، رئيساً للجنة التحكيم.

واسترسالاً مع هذا الافتراض حدسنا بان الجائزة ستتدحرج إلى (...)، ولكننا سرعان ما تراجعنا عن ذلك معتبرين ان القيمين على الجائزة اذكى من ان يمنحوها إلى اديب عربي! ولكن ما البأس في المحاولة؟!

ولكن استاذي، سيد الرواية، تحدث بمرارة عن صعوبة البت بامتياز رواية عن اخرى على وجه الاجمال، اذ قد تمتاز رواية بجملة من عناصر الابداع، وتفتقر إلى جملة منها، وليس بيننا من الاعمال الروائية رواية جامعة مانعة ببنائها وشخوصها ودلالاتها واسلوبها وحضورها في التاريخ الادبي والانساني تستحق هذا المستوى من التكريم.

هنا انفتح القول عن السيناريو الجهنمي الذي قضيت الليل ساهراً عليه.

قلت: يا استاذي الكريم، ليس من المعقول ان تجتمع كل عناصر الابداع في رواية واحدة لشخص واحد.

قال: فماذا تقول؟

قلت: اقتراح لا تؤاخذني عليه، ودع مجالاً للمناقشة، لا أنت ولا أنا ولا أحد غيرنا يستطيع ان يجترح معجزة واحدة.

انتبه سيد الرواية، واتسعت حدقتا عينيه، وقال: ماذا تعني؟

قلت: يا سيدي، نحن في زمن العولمة، حيث كل شيء متاح، وكل تأويل له تمويل، كما ان لكل تمويل تأويلاً يسنده ويقويه، فما رأيك في ان نتفق انت وانا، وربما ثالث تقترحه، ونكتب رواية محكمة معززة بتجاربنا كلنا، ونعهد بها إلى ناقد او اثنين من نقادنا المبدعين ليكشفوا عناصر الابداع ومواطن الروعة في عملنا المشترك الذي سيقودنا بيسر إلى الملايين الثلاثة التي ستنقذنا من هذه الزريبة التي قضينا حياتنا فيها حيث سنستبدل بها جنينة حيث شئنا، وحياة كما نحب.

ولا تنس ان الموضوع لن يتوقف عند الملايين الثلاثة، فهناك ما سنجنيه من وسائل الاعلام وفوائد التوفير والمقابلات الرسمية والتكريمات اللاحقة والاسفار بالدرجة الاولى والاقامة لفترة مفتوحة في فنادق الدرجة الممتازة ودور النشر وعقود الترجمة والمعجبين والمعجبات، وما إلى ذلك من من لذائذ لا اعرفها ولكنها موجودة بالتأكيد.

غرق سيد الرواية في صمت طويل، ثم صحا فقال:

"ولكننا سنفقد كل ما بنيناه في هذا العمر الطويل".

قلت: "يا سيدي. سنشتري غيره: فالثلاثة الملايين ستجعل الدنيا طوع ايدينا".

المؤرخ د. كمال مظهر احمد: لا أزال مؤمناً بالفكر الاشتراكي ومدارسه الواقعية حسب قناعاتي

دخلت السنوات الاخيرة من عمري وفي جعبتي اشياء فكرية غير قليلة

حوار / مازن لطيف علي

ولد الدكتور كمال مظهر احمد عام ١٩٣٧ في مدينة السليمانية وحصل على شهادة البكلوريوس بمرتبة الشرف في جامعة بغداد عام ١٩٥٩، وحصل على شهادة الدكتوراه في معهد الاستشراق - اكاديمية العلوم السوفيتية - عام ١٩٦٣، ودكتوراه ناوك D.S.C. من الاكاديمية نفسها عام ١٩٦٩.. صدر للمؤرخ كمال مظهر احمد اكثر من ٥٠ كتابا، واشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه واشترك في مناقشة الكثير من الرسائل الجامعية وقد كان لنا معه هذا الحوار.

❖ في الدراسات التاريخية والماركسية بالذات اظهرت التجريد الشخصي والقومي وبدون إنحياز إلى طرف على حساب آخر، وهذا ما ظهر في دراسات ماركس في الثامن عشر من برومير وكومونة باريس ١٨٤٨ فضلاً عن المحاضرات القيمة التي لخصها المؤرخ الانكليزي هوبز بوم في كتابه القيم "دراسات في التاريخ".. لماذا لم تظهر دراسات تاريخية تظهر الجانب الحيادي والموضوعي لكتابة التاريخ؟

- الماركسية علم عميق جداً ومن افضل المدارس الاشتراكية، وماركس احد كبار العمالقة الذين ظهروا في النصف الاول من القرن التاسع عشر وانا دائماً ارجع في هذه المناسبة إلى الاستاذ المرحوم مسعود محمد فهو لم يتفق مع الفكر الماركسي اذ كانت لديه بعض الاراء والطروحات الفكرية العميقة، فلم انس مقالته التي نشرها تحت عنوان "يا حكام العالم اتحدوا ويا عمال العالم تفرقوا" عكس ما قاله ماركس..

فعلاً عمال العالم لم يستطيعوا ان يتحدوا وعندما اتحدوا على صعيد القارة الاوربية لم يفعلوا شيئاً مؤثراً، ولم يؤد ذلك إلى تحقيق الحلم الكبير الذي بشر به كارل ماركس، ومع ذلك كان المرحوم مسعود محمد يقر بأن كارل ماركس احد عمالقة الفكر في التاريخ البشري وكان يكرر قوله دائماً لو خيروني ان اختار عشرة من كبار الفلاسفة والمفكرين في التاريخ البشري فدائماً اختار واحداً منهم، كارل ماركس، ولو خيروني ان اختار ثلاثة فلاسفة ومفكرين فسأختار ماركس واحداً منهم.. فالماركسية اكرر واقول علم عميق اختلفنا معها ام اتفقنا واضيف لو قدر لماركس ان يحيا ويعيش مخترعات القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين فأنه حتماً كان سيعيد النظر في طروحاته الفكرية وربما في العديد منها، اهتمت الماركسية بالتاريخ واعتبرته علما قائماً بذاته وادت دوراً كبيراً في شيوع التحليل الفكري للاحداث وليس مجرد سرد لها وعلى المؤرخ ان يكون حيادياً فانا لا استطيع ان انكر كرديتي ولكنني لا أترك لمشاعري الكردية ان تتدخل في عرض القضايا التاريخية. الحقيقة التاريخية تبقى ثابتة.. اليوم قد تكون الحقيقة التاريخية غير معروفة لكن في الغد هذه الحقيقة سوف تكون معروفة، فمن الافضل ان نقول الحقيقة التاريخية كما هي وان نبحث عن الدوافع والاسباب ونحللها..

من الصعب فهم الماركسية دون الرجوع إلى مؤلفات لبنين التي تبلغ ٥٥ مجلداً باللغة الروسية.. وماركس لم يفكر في روسيا مكاناً يتوقع ان تنتصر فيه الثورة الاشتراكية بل كان يتوقعها في المانيا أوانكلترا فالخلل ليس في الاشتراكية بل في هذا الجمود وعدم محاولة تجاوز نقاط الضعف التي كانت في الفكر الماركسي اولاً وعدم الرجوع إلى مؤلفات لينين ثانياً والتركيز على الجوانب السلبية في الاتحاد السوفيتي لان هناك في المقابل إضافة إلى الجوانب السلبية جوانب ايجابية غير قليلة لاننا عايشنا هذا الشيء.

❖ألا تزال مؤمناً بالفكر الاشتراكي؟

- كنت في شبابي اميل للفكر الاشتراكي لاعتقادي بان هذا الفكر يضمن سعادة الانسان ويساعد على حل المشكلات القومية حلاً عادلاً جذرياً.. هذه العاطفة دفعتني وانا طالب في المدرسة الثانوية إلى ان انتمي إلى اتحاد الطلبة الذي كان منظمه شيوعية تعمل وتجتمع في الخفاء (١٩٥٢) وأتذكر جيداً الاجتماع السري الذي عقده الاتحاد لمناسبة وفاة ستالين في ذلك الحين في احدى المقابر القريبة من ثانوية السليمانية، وكان معظم اصدقائي من الوطنيين الماركسيين وعندما دخلت الجامعة اصبحت مرشحاً في الحزب الشيوعي العراقي ونلت العضوية في عام ١٩٥٨، ولكن ابتعدت عن الحياة الحزبية نهائياً عام ١٩٦١ وكنت طالب دكتوراه في الاتحاد السوفيتي.. ومع ذلك فأني لم أزل مؤمناً بالفكر الاشتراكي ومدارسه الواقعية حسب قناعاتي.

❖المعروف عنك إنك مؤرخ وباحث نزيه وجريء في كل ما تقول وتكتب.. ترى كيف استطاع الدكتور كمال مظهر ان يتكيف ويتأقلم مع السلطة البعثية؟

د. كمال مظهر

- كنت انوي البقاء خارج العراق بعد ان فصلت عام ١٩٦٣ مع مجموعة من الطلاب العراقيين الذين كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي بحيث فرضوا علينا اما ان نترك الدراسة ونرجع إلى العراق او ان نذهب إلى بلد غربي، انا رفضت ذلك لاني كنت على وشك مناقشة اطروحتي الاولى فقبلوني كلاجئ سياسي وكنت انوي البقاء خارج العراق لكن بيان آذار هو الذي حركني وبعد صدور البيان حزمت امتعتي ورجعت إلى العراق وكنت متحمساً للعمل وكنت مؤمناً بالوحدة الوطنية وهذا البيان كان خطوة مهمة للامام وفعلاً عندما عدت.. اختاروني عضواً وأميناً عاماً في المجمع العلمي الكردي إلى ان حدثت الانتكاسة وتبين بان هذه خطة مناورة لئيمة من صدام حسين يحاول فيها ان يحتوي القضية الكردية باسلوب كهذا اذ لم يستطع ذلك عن طريق السلاح فحاول ان يلتف على القضية الكردية فانتهت الامور في عام ١٩٧٤ و١٩٧٥ حيث بدأت الانتكاسة فصرت ارغب في ان اذهب إلى بلد اوربي.. انا لم تكن لي أي علاقة او صلة مباشرة بهم، هم حاولوا ان يتقربوا لي وكنت دائماً اتحدث بلغة علمية وانني واثق بانهم كانوا واثقين من انه ليس لدي أي ارتباط سري.. كنت القي محاضراتي باسلوب علمي ومنهجي واعرف ماذا اقول وفي بداية انهيار النظام عثروا على بعض الوثائق السرية المتعلقة بي، أنا اعتز بهذه الوثائق وهم وعدوني بأن يزودوني بها، لكن إلى الآن لم أحصل عليها، والوثائق السرية حتماً كلها موجودة، أروي لك شيئاً: كان هناك مركز البحوث والمعلومات تابع لمجلس قيادة الثورة وكان فاضل البراك مدير الامن العام في ذلك الوقت معجباً بي وسبب اعجابه هو انه كان يدرس الدكتوراه في الاتحاد السوفيتي وكان المشرف على رسالته "كاتلوف" الذي كان مثل اخي علاقتنا قوية جداً وحتى عندما ناقشوا الاطروحة الثانية في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٩ اقام احتفالاً خاصاً لاعضاء لجنة المناقشة ولي ولاصدقائه المقربين في بيته وهذا شيء ليس سهلاً في اوربا وفي الاتحاد السوفيتي في بيت "كاتلوف" وهو المشرف على أطروحة الدكتور فاضل البراك..

وعن طريق مدير مركز البحوث والمعلومات ارسلوا لي بحثاً علمياً للتقييم فانا قيمت البحث واذا بمدير المركز يزورني في البيت ومعه ظرف يحتوي على مبلغ قدره ٢٠٠ دينار في ذلك الوقت حوالي ١٠٠٠ دولار فلم يكن لي استعداد لأخذ فلس واحد وارجعت المبلغ مع الشكر..

❖تطرقت إلى المجمع العلمي الكردي.. ترى لو تم اختيارك رئيساً للمجمع العلمي العراقي وبنفس الوقت تم اختيارك رئيساً للمجمع العلمي الكردي ماذا يكون اختيار د. كمال مظهر احمد؟؟

- اخبرني زميلي الدكتور عبد الرحمن معروف ان هناك توجهاً لاختياري رئيساً للمجمع العلمي الكردي القادم لكنني رفضت ذلك رفضاً قاطعاً وبالبداهة يكون موقفي من المنصب الآخر مشابهاً له في كل شيء مع العلم انني ارى في المنصبين مهمة علمية نبيلة خطرة دون حدود لكني دخلت السنوات الاخيرة من عمري وفي جعبتي اشياء علمية وفكرية غير قليلة... ينحصر حلمي الاول والاخير في ان انجز ذلك.

قـــصـــيـــدتـــان

هاينريش بول

ترجمها عن الالمانية: خالد المعالي

دق ناقوس الخطر

دق ناقوس الخطر
جمع اصدقاءك
ليس
عندما الضباع تعوي
ليس
عندما يحاصرك ابن آوى
او
عندما تصر الكلاب
ليس عندما يرتكب الثور
خطأً وهو تحت النير
او عندما يتعثر البغل بالسكراب
دق ناقوس الخطر
جمع اصدقاءك
عندما تصر الارانب على اسنانها
وعندما تعلن عطشها للدماء
عندما العصافير تتدرب على الانقضاض
وتنقض
دق ناقوس الخطر

ملهمتي

تقف ملهمتي في الزاوية
وتعطي بدون كلفة كل احد
ما لا اريده
وحينما تكون مرحة
تهديني ما اريده
ويا قلما ما كانت مرحة.

ملهمتي راهبة
في بيت معتم
وخلف سور معدني مزدوج
ولأجلي تتوسط
عند عشيقها!

ملهمتي تعمل في المصنع
وحينما ينتهي عملها
تريد ان تذهب للرقص معي
نهاية العمل
بالنسبة لي ليست وقتاً

ملهمتي مسنة
تحذرني
تصرخ بفم جلدي
مجنون بلا ثمن
بلا ثمن مجنون

ملهمتي ربة بيت
لا كتان لديها
انما كلمات في خزانة
ونادراً ما تفتح الابواب
لكي تعطيني بعضها

ملهمتي مصابة بالجذام
مثلي
نقبل الثلج على شفاه بعضنا الآخر
على الفم
ونعلنه طاهراً.
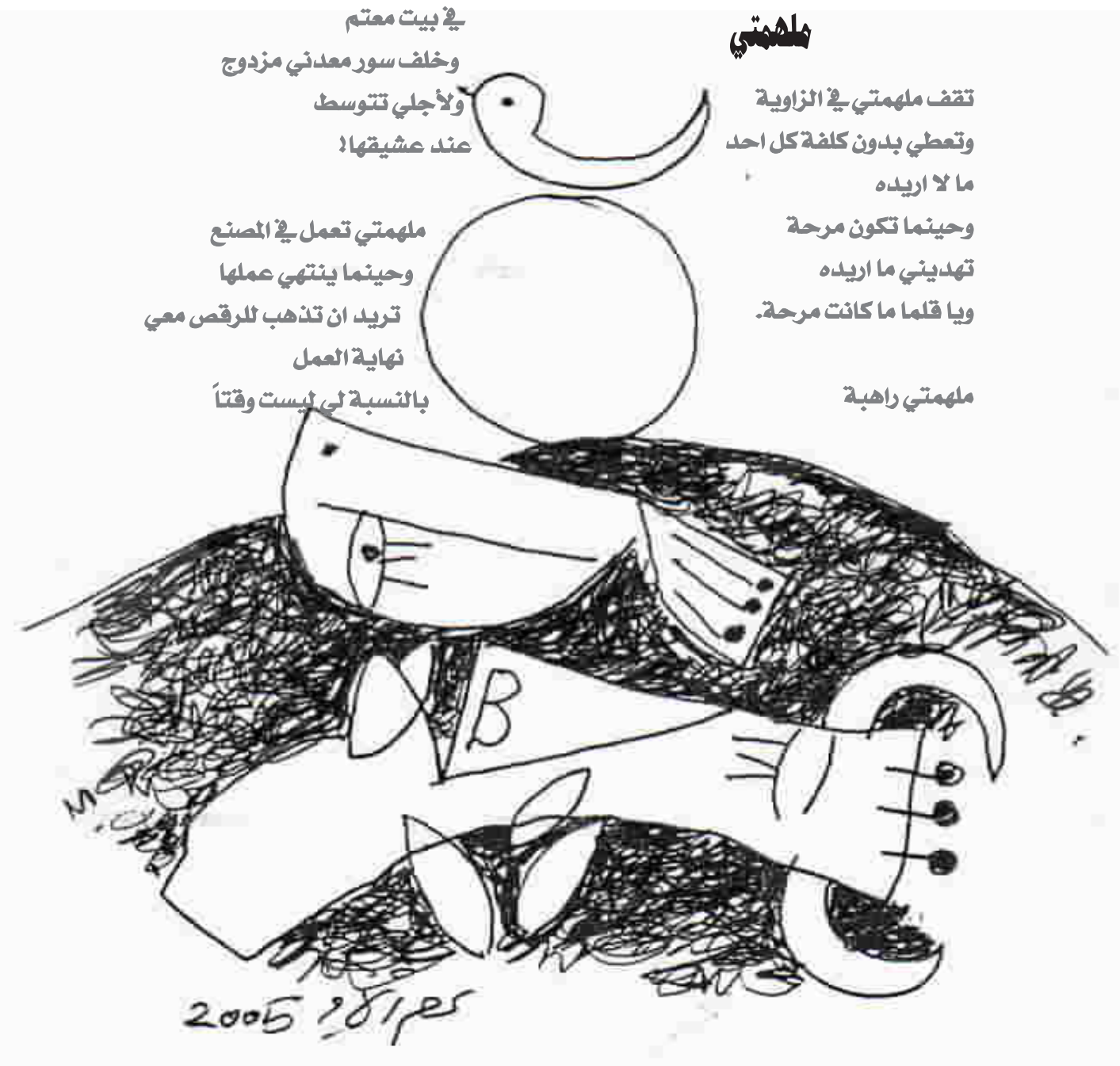
ملهمتي المانية
لا تحميني
الا عندما اسبح في دماء التنين
تضع يدها على قلبي
وهكذا ابقى عرضة للجراح.